(٢٢)

أصول السنة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد على آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين اللهم إنا نسألك أن توفق شيخنا وان تعينه وان تغفر لنا ولشيخنا أجمعين.

قال شيخ الإسلام أبو العباس ((وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف في كتابه الذي سماه:... ((ثم قال: وسنذكر أصول السنة وما ورد من الاختلاف فيما نعتقده فيما خالفنا فيه أهل الزيغ، وما وافقنا فيه أصحاب الحديث من المثبتة إن شاء الله. ثم ذكر الخلاف في الإمامة واحتج عليها: وذكر اتفاق المهاجرين والأنصار على تقديم الصديق رضي الله عنه وأنه أفضل الأمة. ثم قال: وكان الاختلاف في خلق الأفعال، هل هي مقدرة أم لا؟ قال: وقولنا فيها أن أفعال العباد مقدرة معلومة وذكر إثبات القدر. ثم ذكر الخلاف في أهل الكبائر ومسألة «الأسماء والأحكام» وقال: قولنا: إنهم مؤمنون على الإطلاق، وأمرهم إلى الله تعالى، إن شاء عذبهم، وإن شاء عفا عنهم.وقال: أصل الإيمان موهبة يتولد منها أفعال العباد، فيكون أصله التصديق والإقرار والأعمال))

قوله "أصل الإيمان موهبة يولد منها أفعال العباد" يعني أنه ﷻ هو الذي خلق الناس فمنهم مؤمن ومنهم كافر . فقد قضى الله في الأزل من هم أهل الإيمان ومن هم أهل الكفران فهي من شاء وأضل من شاء. فلما كانت هذه موهبة من الله جاءت أفعال العباد وفقها فأما من أراد الله به خيرًا فقد يسره لليسرى بأفعاله ومن أراد به شرًا يسره للعسرى بأفعاله التي يكتسبها حقًا وفعلاً. إذ أنه ﷻ قال { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧)} (الليل ٥: ١٠) فنسب الأفعال الثلاثة هذه للعبد. وبإزاء ذلك قال { وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)} (الليل ٨: ١٠) فأسند الأفعال الثلاثة هذه للعبد مما يدل على أنها أفعال العباد، مكتسبة لهم، وهي من خلقه تعالى. فالله خالق لها ومقدرها، ولا تنافي بين الأمرين. ومراد شيخ الإسلام بذكر هذه ثم .. ثم .. ثم .. لم؟ لكي يبين أن محمد بن خفيف على طريقة أهل السنة والجماعة في أبواب الاعتقاد المختلفة، ليثبت بعد ذلك ما يتعلق بباب الأسماء والصفات. نعم هذا سبب تنقله من باب لباب ليري القارئ أن ابن خفيف على طريقة أهل السنة ليس مرجئًا ولا قدريًا ولا حروريًا ونحو ذلك.

((وذكر الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه، وقال: قولنا: إنه يزيد وينقص. قال: ثم كان الاختلاف في القرآن: مخلوقًا أو غير مخلوق، فقولنا وقول أئمتنا: إن القرآن كلام [الله] غير مخلوق وأنه صفة منه بدأ قولًا، وإليه يعود حكمًا. ثم ذكر الخلاف في الرؤية وقال: قولنا قول أئمتنا فيما نعتقد أن الله يُرى في يوم القيامة، وذكر الحجة.ثم قال: واعلم . رحمك الله . أني ذكرت أحكام الاختلاف على ما ورد من ترتيب المحدِّثين في كل الأزمنة. وقد بدأت أن أذكر أحكام الجمل من العقود))

قوله " بدأت أن أذكر أحكام الجمل من العقود " يعني تفصيل بعد الإجمال. ومراده بالعقود يعني الأمور المعتقدة، ما يعقد عليه القلب . فأراد أن يفصل هذا الإجمال مما سبق ذكره مجملاً في الاعتقاد .

((فنقول ونعتقد أن الله عز وجل له عرش، وهو على عرشه فوق سبع سماواته بكمال أسمائه وصفاته، كما قال تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}))

قوله "وهو على عرشه فوق سبع سماواته" هذه اللفظة وردت في أكثر من متن أو من كلام السلف ، ولكن الأفصح لغة أن يقال "فوق سماواته السبع" لأن العدد لا يضاف إلى تمييز مضاف إلى ضمير. العدد وهو سبع لا يضاف إلى ضمير من حيث اللغة أنه من عدم الفصاحة لأنه قال فهو على عرشه فوق سبع سماواته، بل الصحيح أن يقال فوق سماواته السبع والخطب سهل.

((كما قال تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:٥] و {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} [السجدة:٥] ولا نقول: إنه في الأرض كما هو في السماء على عرشه؛ لأنه عالم بما يجري على عباده.

إلى أن قال: ونعتقد أن الله خلق الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء. إلى أن قال: ونعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم عرج بنفسه إلى سدرة المنتهى. إلى أن قال: ونعتقد أن الله قبض قبضتين فقال: «هؤلاء إلى الجنة وهؤلاء إلى النار»

ونعتقد أن للرسول صلى الله عليه وسلم حوضًا، ونعتقد أنه أول شافع وأول مشفع، وذكر الصراط، والميزان، والموت، وأن المقتول قتل بأجله، واستوفى رزقه))

إشارة خلاف وأن المقتول قتل بأجله. لأن المعتزلة يقولون قطع عليه أجله. ولكنه في الواقع المقتول قتل بأجله، لأن الله ﷻ قد كتب مقادير الخلائق، وهو سبحانه وتعالى لا يقبض نفسًا إلا بعد أن تستوفي رزقها وأجلها. إنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقا وأجلها. لكن هذه من حماقات المعتزلة حينما يقولون إن القاتل قطع على المقتول أجله، هذا أجله الذي وقته الله له أن يموت على فراشه وهذا يموت بالسيف.

((إلى أن قال: ومما نعتقد أن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر، فيبسط يده فيقول: «ألا هل من سائل» الحديث وليلة النصف، وعشية عرفة، وذكر الحديث في ذلك.))

النزول ليلة النصف من شعبان فيه خلاف بين العلماء. فقد روي فيه حديث وحسنه بعض أهل العلم وضعفه آخرون. لكن حتى الذين أثبتوا الحديث وأخذوا به لم يثبتوا لتلك الليلة فضل قيام أو ليومها فضل صيام فلا يثبت لليلة النصف من الشعبان فضل صيام ولا أن لأول نهارها فضل صيام.

((قال: ونعتقد أن الله كلم موسى تكليمًا، واتخذ إبراهيم خليلاً، وأن الخُلَّة غير الفقر، لا كما قال أهل البدع.))

الخلة هي أعلى المحبة وليست الخلة بمعنى الحاجة والمدقعة والفقر كما قاله أهل البدع. هذا من مخاريق الصوفية.

((ونعتقد أن الله تعالى خص محمدًا صلى الله عليه وسلم بالرؤية، واتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً. ونعتقد أن الله تعالى اختص بمفتاح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} الآية [لقمان:٤٣] ونعتقد المسح على الخفين. ثلاثًا للمسافر، ويومًا وليلة للمقيم.))

هذه الجملة مع أنها لا تبدو أنها من مسائل الاعتقاد لكنها من علامات أهل السنة المميزة لهم عن علامات أهل البدعة ، وهي المسح على الخفين. فإن أهل السنة يثبتون المسح على الخفين، بل يعدونه من المتواتر عن رسول الله ﷺ تواترًا معنويًا. وهي

إشارة إلى البراءة من طريقة المبتدعة من الرافضة الذين لا يرون المسح على الخفين ويرون المسح على القدمين ولا يرن المسح على الخفين. مع أن من أشهر من روى أحاديث المسح على الخفين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فهذه الجملة يأتي بها السلف لبيان العلامات الفارقة بينهم وبين أهل البدعة الذين ينكرون المسح على الخفين كالروافض، وربما بعض الخوارج أيضًا.

((ونعتقد الصبر على السلطان من قريش ما كان من جور أو عدل، ما أقام الصلاة من الجمع والأعياد، والجهاد معهم ماض إلى يوم القيامة والصلاة في الجماعة حيث ينادى لها واجب إذا لم يكن عذر أو مانع، والتراويح سنة، ونشهد أن من ترك الصلاة عمدًا فهو كافر والشهادة والبراءة بدعة، والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة، ولا ننزل أحدًا جنة ولا نارًا حتى يكون الله ينزلهم، والمراء والجدال في الدين بدعة.))

كل هذه الجمل جمل من جمل أهل السنة والجماعة في عقائدهم مر مثلها. وقريب منها في كلام الطحاوي رحمه الله. ولا تجد متن من متون أهل السنة والجماعة إلا وهو يذكر مثل هذه الجمل ويلحقها بأبواب الاعتقاد المختلفة. فهي معلومة بحمد الله ولا نطيل بذكر تفاصيلها. لكن نبين معنى قوله ((والشهادة والبراءة بدعة)) قال عندي في الحاشية: يقصد بالشهادة بالجنة للمحسن والبراءة من المسيء أو شهادة له بالنار يعني بمعنى أن أهل السنة لا يقطعون لمحسن بالجنة ولا للمسيء بالنار. فهذا مخالف لعقيدة السلف. يقول الطحاوي رحمه الله في عقيدته نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم وأن يدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم ولا نقنطهم". وقال شارح الطحاوي ابن أبو العز عند قول الطحاوي "ولا نتبرأ من أحد منهم كما فعلت الرافضة" قال: فعندهم يعني الروافض لا ولاء إلا ببراء، أي لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . وأهل السنة يوالونهم كلهم وينزلونهم منازلهم. إلى أن قال "هذا معنى قول من قال من السلف الشهادة بدعة والبراءة بدعة". إذن رأيتم؟ يكون معنى الشهادة والبراءة رد على الرافضة لا ولاء إلا ببراء، يعني لا نوافقهم على هذا الباطل . وشارح الطحاوية صرح بهذا وقال وهذا معنى قول من قال من السلف الشهادة والبراءة بدعة. يروى ذلك عن جماعة من السلف من الصحابة والتابعين منهم أبو سعيد الخدري والحسن البصري وإبراهيم النخعي والضحاك وغيرهم. ومعنى الشهادة أي يشهد على معين من المسلمين أنه من أهل النار وأنه كافر. إذن هذا معنى الشهادة. وأما البراءة فهي البراءة التي ادعاها الروافض من أنه لا ولاء إلا ببراء.

((ونعتقد أن ما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم إلى الله، ونترحم على عائشة ونترضى عليها. والقول في اللفظ والملفوظ، وكذلك في الاسم والمسمى بدعة، والقول في أن الإيمان مخلوق أو غير مخلوق بدعة))

هذه أيضًا من الجمل التي يكثر تكرارها. القول في اللفظ والملفوظ وكذلك في الاسم والمسمى بدعة. القول في اللفظ والملفوظ يعني لو قال "لفظي بالقرآن مخلوق أو لفظي بالقرآن غير مخلوق" فقد قال الإمام أحمد من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع. لماذا؟ لأن الذي يقول لفظي بالقرآن مخلوق قد جعل كلام الله مخلوقًا لاحتمال أن يكون مراده باللفظ الملفوظ نفسه الذي هو كلام رب العالمين، لا مجرد تحريك الشفتين واللسان. فلذلك قال من قال ذلك فهو جهمي. ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع لأن هذا موهم، ليس من كلام السلف، عبارته تلك محدثة

فلذلك قال عنه مبتدع. كذلك الاسم والمسمى فهذه ليست من مباحث السلف رحمهم الله قال : **"وأما القول في الاسم أهو المسمى أم غيره من ألفاظ الحادثة التي لا أثر فيها فيعتبر ولا قول إمام فيستمع، فالقول فيه شين والصمت عنه زين"**.

المشكلة في هذه الألفاظ أنها حمالة أوجه لأن الاسم يراد به المسمى تارة مثل ما لو قلت قال الله ، فلفظ "الله" يراد به المسمى، وهو الله ﷻ . مثل قولك "سمع الله لمن حمده". فلفظ الله في سمع الله لمن حمده إنما هو الله ﷻ . إن أريد أن الله كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه أسماء أو حتى سماه خلقه بها فهذا باطل. ولهذا كان الكلام في الاسم هل هو المسمى أو غير المسمى محتمل. وتارة الاسم يراد به اللفظ الدال عليه كأن يقول قائل مثلاً الله لفظ عربي. فأنت الآن لو قلت الله لفظ عربي تقصد بكلمة الله هذا اللفظ ولا تقصد به الله ﷻ وإنما تقصد اللفظ. فإن أريد به المغايرة وأن اللفظ غير المعنى فحق. والمقصود أن هذه المباحث الاسم والمسمى اللفظ والملفوظ والإيمان مخلوق أو غير مخلوق فهي مما فتقته عقول المتكلمين ولم يكن من مباحث السلف المتقدمين .

((واعلم أني ذكرت اعتقاد أهل السنة على ظاهر ما ورد عن الصحابة والتابعين مجملاً من غير استقصاء؛ إذ قد تقدم القول عن مشايخنا المعروفين من أهل الإمامة والديانة، إلا أنني أحببت أن أذكر «عقود أصحابنا المتصوفة» فيما أحدثه طائفة انتسبوا إليهم مما قد تخرَّصوا من القول مما نزه الله المذهب وأهله من ذلك.))

هذا يبين ما ذكرناه ليلة البارحة أن لفظ التصوف يطلق على إطلاقات متعددة ، يطلق على قوم ساروا على طريقة السلف كمحمد بن الخطيب وكذلك عمرو بن عثمان المكي وساروا على طريقة السلف في الاعتقاد ولكنهم أولوا جانب العبادة والزهادة وإصلاح القلوب تهذيب النفوس جل همهم فعرفوا بهذه الطريقة ولم يكن لهم مزيد فضل في معرفة الآثار والرواية الدراية والفقه فغلب عليهم ذلك وسموا متصوفة. قد يطلق على قوم على السنة. والتفاوت بين أطباق الأمة حاصل. ففي الأمة عباد ومجاهدون وسلاطين ومحتسبون وأنواع. فلم يخلق الله الناس على نسق واحد. ولكنه أدرك رحمه الله بأنه قد دخل في عقد التصوف قوم شانوه وأدخلوا فيه من البدع والاعتقادات الباطلة. ولذلك قال **"أحببت أن أذكر عقود أصحابنا المتصوفة فيما أحدثته طائفة نسبا إليه"** نسبوا إليهم ما قد تخرصوا من القول بما نزه الله تعالى المذهب وأهله من ذلك. فهو يشير إلى وجود شيء من المدخلات البدعية على أهل طريقتهم فتبرأ منها.

((إلى أن قال: وقرأت لمحمد بن جرير الطبري في كتاب سماه «التبصير» كتب بذلك إلى أهل طبرستان في اختلاف عندهم، وسألوه أن يصنف لهم ما يعتقده ويذهب إليه، فذكر في كتابه اختلاف القائلين برؤية الله تعالى؛ فذكر عن طائفة إثبات الرؤية في الدنيا والآخرة. ونسب هذه المقالة إلى الصوفية قاطبة، لم يخص طائفة دون طائفة فتبين أن ذلك على جهالة منه بأقوال المحصلين منهم، وكان ممن نسب إليه ذلك القول . بعد أن ادعى على الطائفة . ابن أخت عبد الواحد بن زيد، والله أعلم بمحله عند المحصلين؛ فكيف بابن أخته. وليس إذا أحدث الزائغ في نحلته قولاً نسب إلى الجملة، كذلك في الفقهاء والمحدثين ليس من أحدث قولاً في الفقه، أو لبَّس فيها حديثًا ينسب ذلك إلى جملة الفقهاء والمحدثين.))

فهو رحمه الله أخذته الغيرة وأراد الانتصار للمتصوفة السائرين على السنة، وانه قد اطلع على كتاب لمحمد بن جرير الطبري ينتقد أو يثبت أو ينسب فيه مقالة إلى عموم الصوفية. وهو رحمه الله – ابن خفيف – يبرأ من هذا الإطلاق. فذكر ابن جرير في

اختلاف القائلين برؤية الله أن الصوفية يقولون بإثبات الرؤية في الدنيا والآخرة أي أنهم غلوا في إثبات رؤية الله حتى قالوا يرى في الدنيا! ولا شك أن هذا واقع من بعضهم. فإن بعض المتصوفة يزعم بأنه رأى الله وخاطبه وكلمه في الدنيا هكذا. ولا شك أن هذا باطل. **فالنبي ﷺ قال: "واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا"** . فلا يمكن لأحد أن يرى الله ولو كان أحد حري أن يرى الله في الدنيا لرآه موسى حينما تجلى للجبل ، {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا} فدل ذلك على أن الله لا يمكن أن يرى في الدنيا.

فالمهم أن ابن خفيف أراد أن يبرئ بهذا التعبير المحصلين الذين حصلوا الدين والعلم من المحرفين كعبد الواحد بن زيد وابن أخته فإنه قد لمزه بكلمة، قال والله أعلم محله عند المحصلين فكيف بابن أخته فقال ليس إذا أحدث الزائغ في محنته قولاً نسب إلى الجملة . وصدق فلو أن إنسانًا من الحنابلة أو الشافعية أو الأحناف أو المالكية قال مقالة شاذة فإن هذا لا ينسب لعموم المذهب. فالإنصاف يقتضي أن يلزم كل بمقالته ولا ينسحب ذلك على باقي طائفته وأصحاب مذهبه.

((واعلم أن ألفاظ «الصوفية» وعلومهم تختلف، فيطلقون ألفاظهم على موضوعات لهم، ومرموزات وإشارات تجرى فيما بينهم، فمن لم يداخلهم على التحقيق، ونازل ما هم عليه، رجع عنهم خاسئًا وهو حسير.

ثم ذكر إطلاقهم لفظ الرؤية بالتقييد، فقال: كثير ما يقولون: رأيت الله، وذكر عن جعفر بن محمد قوله لما سئل: هل رأيت الله حين عبدته؟ قال: رأيت الله ثم عبدته. فقال السائل: كيف رأيته؟ فقال: لم تره العيون بتحديد العيان، ولكن رأته القلوب بتحقيق الإيقان. ثم قال: يرى في الآخرة كما أخبر في كتابه وذكره رسوله صلى الله عليه وسلم، فهذا قولنا وقول أئمتنا دون الجهال من أهل الغباوة فينا.))

إذن هذا نوع اعتذار أو توجيه. قال أنه قد يوجد في كلام بعضهم التعبير بالرؤية "ورأيت الله" وهم يريدون الرؤية العلمية لا الرؤية البصرية. واستدل بهذا الأثر المروي عن جعفر بن محمد الذي هو جعفر الصادق. جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله ورضي عنهم.

((فهذا قولنا وقول أئمتنا دون الجهال من أهل الغباوة فينا. وإن مما نعتقد أن الله حرَّم على المؤمنين دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وذكر ذلك في حجة الوداع، فمن زعم أنه يبلغ مع الله درجة يبيح الحق له ما حظر على المؤمنين . إلا المضطر على حال يلزمه إحياء النفس . وإن بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادة فذلك كفر بالله والقائل بذلك قائل بالإلحاد وهم المنسلخون من الديانة.))

هذا أيضًا رد منه على قول بعض غلاة الصوفية الزاعمين بأنه إذا بلغ العبد منهم مبلغًا في التصوف سقطت عنه الواجبات وأبيحت له المحرمات. ويقولون إنه يقول سبحانه: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: ٩٩]فمن بلغ درجة اليقين توقف عن العبادة عياذًا بالله. فبرئ من مقالتهم وأكفر من قال هذه المقالة.

((وأن مما نعتقده ترك إطلاق تسمية العشق على الله؛ وبين أن ذلك لا يجوز لاشتقاقه، ولعدم ورود الشرع به، وقال: أدنى ما فيه أنه بدعة وضلالة، وفيما نص الله من ذكر المحبة كفاية.))

هذا أيضًا من المآخذ التي أخذها هو على بعض المنتسبين للتصوف وهو استخدام لفظ العشق. ويقولون العشق الإلهي ويقولون القصائد التي ركبت أصلاً بين العاشق ومعشوقه أو معشوقته ثم يتخيلونها في ذات الله ويتواجدون معها ويقع لهم أحوال شيطانية لا رحمانية، أحوال إبليسية لا ملائكية ويدعون أنها أحوال راقية ومراتب علا ومدارج سامقة إلى غير ذلك. وكل ذلك من تزيين الشيطان . فلفظ العشق ليس من الألفاظ الشرعية التي تقال في حق الله تعالى. **قال ابن أبي العز وقد ذكر مراتب المحبة فقال :" السابعة العشق وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه ولكن لا يوصف به الرب تعالى ولا العبد في محبة ربه وإن كان أطلق بعضهم واختلف في سبب المنع فقيل عدم التوقيف يعني أنه لم يأت به توقيف وقيل غير ذلك ولعل امتناع إطلاقه أن العشق محبة مع شهوة" انتهى كلامه.**

وصدق فإن العشق محبة مع شهوة، ولهذا يقع منهم أمور مستنكرة مستبشعة فلا يجوز التعبير بهذا التعبير ولا استعماله في القصائد ولا المنثورات وإنما يعبر بلفظ الحب يحبهم ويحبونه.

((وأن مما نعتقده: أن الله لا يحل في المرئيات، وأنه المنفرد بكمال أسمائه وصفاته، بائن من خلقه، مستوى علا عرشه، وأن القرآن كلامه غير مخلوق – حيث ما تلي ودرس وحفظ– ونعتقد أن الله تعالى اتخذا إبراهيم خليلا واتخذا نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم خليلا وحبيبا، والخلة لهما منه، على خلاف ما قاله المعتزلة: إن الخلة الفقر والحاجة)) لماذا قالوا ذلك؟ لأنهم ينكرون الصفات ولا يثبتون صفة المحبة لله ﷻ فلذلك قالوا لا، المقصود بالخلة هو الفقر والحاجة بمعنى أنهما مضطران مفتقران. ولا شك أنهما مضطران مفتقران إلى الله وسائر عباده المؤمنين لكن مراده تعالى بذلك المحبة .

((إلى أن قال:والخلة والمحبة صفتان لله هو موصوف بهما، ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه، وصفات الخلق من المحبة والخلة جائز عليهم الكيف.)) مراده أن صفة المحبة والخلة من الله لا يمكن تكييفها ولا يقال أنه انجذاب النفس أو غير ذلك من التكييفات البشرية فإضافتها إلى الله على الوجه اللائق به كإضافة السمع والبصر على ما يليق به. وأما إضافتها للمخلوقين فأمر مدرك ويمكن تكييفه ووصفه لأنه وصف مخلوق.

((وأما صفات الله تعالى فمعلومة في العلم، وموجودة في التعريف، قد انتفى عنهما التشبيه، فالإيمان به واجب واسم الكيفية عن ذلك ساقط.ومما نعتقده: أن الله أباح المكاسب والتجارات والصناعات، وإنما حرم الله الغش والظلم، وأما من قال بتحريم المكاسب، فهو ضال مضل مبتدع، إذ ليس الفساد والظلم والغش من التجارات والصناعات في شيء، وإنما حرم الله ورسوله الفساد لا الكسب والتجارة، فإن ذلك على أصل الكتاب والسنة جائز إلى يوم القيامة.

وإن مما نعتقده: أن الله لا يأمر بأكل الحلال، ثم يعدمهم الوصول إليه من جميع الجهات؛ لأن ما طالبهم به موجود إلى يوم القيامة، والمعتقد أن الأرض تخلو من الحلال، والناس يتقلبون في الحرام فهو مبتدع ضال، إلا أنه يقل في موضع ويكثر في موضع؛ لا أنه مفقود من الأرض..))

هو يشير في هذا لمسائل معلومة في زمنه لاسيما من المنتسبين للتصوف والورع والزهد فيزعمون أن الأرض خلت من الحلال. فيقيم عليهم الحجة ويقولون لا يمكن أن يأمر الله بالأكل من الحلال. يقول تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ

مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: ١٧٢] {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: ١٧٢]فلا يمكن أن يأمر الله بأكل الحلال ثم يمنع الوصول إليه. فمن ادعى من المتنطعين أنه ما عاد شيء حلال في الأرض وأن كل شيء إلتاث بالحرام ودخله الحرام فهذا مضيق محرج على الأمة.

((ومما نعتقده: أنَّا إذا رأينا من ظاهره جميل لا نتهمه في مكسبه وماله وطعامه، جائز أن يؤكل طعامه، والمعاملة في تجارته، فليس علينا الكشف عن ماله، فإن سأل سائل على سبيل الاحتياط جاز))

هذا أيضًا مهم لأن الأصل حسن الظن بالمسلمين وألا يقال للإنسان إذا بايعه وشراه من أين جئت بهذا ؟ فالأصل في المسلم الستر وسؤاله عن مصدره هذا نوع من التكلف وقد قال تعالى {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} [ص: ٨٦]وقد باع النبي ﷺ واشترى واقترض من يهود مع أن الله تعالى قال عنهم {أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ} [المائدة: ٤٢]، فالحرمة لا تنتقل من ذمة لذمة فما كان كسبه حرام فالحرمة تعلق بكاسبه بخلاف ما كانت عينه حرام فإن الحرمة تنتقل معه.

((إلا من داخل الظلمة. ومن لا يزغ عن الظلم، وأخذ الأموال بالباطل ومعه غير ذلك: فالسؤال والتوقي؛ كما سأل الصديق غلامه.)) مراده أنه إن قامت قرينة على الشبهة شرع السؤال أو لو تكلم متكلم كالغلام الذي قال لأبي بكر إني قد تكهنت في الجاهلية فأدخل الصديق أصبعه في فيه وقاءَ ما في جوفه تورعًا.

((فإن كان معه من المال سوى ذلك مما هو خارج عن تلك الأموال فاختلطا، فلا يطلق عليه اسم الحلال ولا الحرام، إلا أنه مشتبه، فمن سأل استبرأ لدينه كما فعل الصديق. وأجاز ابن مسعود وسلمان، قالا: «كُلْ منه وعليه التبعة» والناس طبقات، والدينُ: الحنيفيةُ السمحة.))

نقف عند هذا وصلى الله على سيدنا محمد والحمد لله رب العالمين.